الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنة. فهذه هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافِعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قد اعتسف وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمَ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهِد في تشييعهما متأهِّبين لئلَّا يُعوزهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالِحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى

الغيرة للرب: عنف أم محبة؟

في هذه الأيام التي يتكاثر فيها العنف باسم الدين، ومشاهد العنف التي تبتغي بثّ الرعب في النفوس، نرى من يمارسون العنف يدّعون الغيرة للرب. السؤال الذي يُطرح على المؤمنين هو كيفية ترجمة الغيرة للرب. هل المطلوب استخدام القوّة مع غير المؤمن أم الرحمة والمحبة؟

المثال الأوضح الذي نجده في الكتاب المقدس عن الغيرة للرب هو النبي إلياس الذي تعطيه الكنيسة لقب غيور حسب قوله: «غرت غيرةً للرب» (١مل ١٩: ١٠). أحياناً كثيرة نجد تماثيل للنبي إلياس الغيور يحمل سيفاً بيده، وبعض الصور والأيقونات تصوّره على هذه الحال، لكن الأيقونة الأكثر انتشاراً في الكنيسة الأرثوذكسية هي التي تصوّره جالساً على صخرة قرب النهر تعوله الغربان. في أول ظهور له في سفر الملوك الأول قال له الرب: «انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبئ عند نهر كريت الذي هو مقابل الأردن، فتشرب من النهر وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك» (١مل ١٧: ٣–٤). هذه الصورة التي تشدّد عليها الكنيسة الأرثوذكسية تريد من خلالها أن تظهر كيف أن الله هو الذي يعول من يتّكل عليه بطرق لا يتوقّعها وأحياناً تفوق المنطق البشري. من المعروف أن الغربان تقترب من النسر حين يأكل من فريسته وتستقر قليلاً، ثم تبدأ بمطاردته، فتطير وتنقض عليه فيضطر إلى خفض رأسه حتى لا يصدمه الغراب بجناحه أو بذيله. وبعد عدة مناورات ينزعج النسر ويطير تاركاً الباقي من فريسته فتأكله الغربان. إذاً هذه الغربان التي تأخذ فرائس النسور لتأكلها والتي تأكل في بعض الأحيان أولادها إذا جاعت، هذه الغربان كانت بأمر الله تأتي الى ايليا «بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً وكان يشرب من النهر» (١مل ١٧: ٦).

إن ما يميّز ايليا هو وقوفه الدائم أمام الله وإيمانه بكلام الرب وقدرته، وهذا ما يظهر في ترداده لعبارة: «حيّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه». إن من يحب الرب ويمتلك غيرةً كغيرة ايليا يجب أن يكون دائم الوقوف أمام الله، أي أن يكون دوماً في حضرة الله وذلك عبر ذكر الله بشكل مستمر والتفكر

العدد ٢٠١٥/٢٩

الأحد ١٩ تموز

آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار البارَّة مكرينة والبار ذيُس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السابع

بأحكامه وتعاليمه وهذا ما تعلّمنا إياه كنيستنا في ترادنا لصلاة: «مبارك أنت يا رب علّمني حقوقك». من يسعى الى التمتع بالحياة بقرب الله، يكتسب ثقة بقدرة الله اللامتناهية مثل ايليا.

بعد ان جعل الله الغربان تطعم ايليا، أرسله الى امرأة أرملة من صرفت صيدا لتعوله، لكن هذه كانت في حالة فقر شديد: «فقالت حي هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكة ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز وهأنذا أقش عودين لآتي وأعمله لي ولابني لنأكله ثم نموت» (١مل ١٧: ١٢). رغم هذا الوضع الميؤوس منه، لم ييأس ايليا من قدرة الله بل أعلن للمرأة: «هكذا قال الرب إله إسرائيل إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص الى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطراً على وجه الارض» (١مل ١٧: ١٤).

قد يقع من يتمتّع بغيرة للرب بتجربة استعمال العنف للدفاع عن الله، وهذا ما حدث مع النبي إيليا الذي قتل أنبياء البعل الأربعماية وخمسين (١ مل ١٨: ٤٠) وقال للرب «قد غرتُ غيرةً للربِّ إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها... وإذا بالربِّ عابرٌ وريحٌ عظيمةٌ وشديدة قد شقّت الجبال... ولم يكن الرب في الريح وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة، وبعد الزلزلة نارٌ ولم يكن الرب في النار وبعد النار صوتٌ منخفض خفيف» (١ مل ١٩: ١٠-١٢). وكان الرب في النسيم العليل الناعم، وهكذا علّم الرب إيليا ان العنف لا ينفع. هذا ما حدث أيضاً مع بطرس الرسول عندما قطع أذن عبد رئيس الكهنة، أما يسوع فقال له: «رد سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦: ٥٢)، وفي نفس الليلة عاد بطرس وأنكر يسوع ثلاث مرات. قبل ذلك وقعت حادثة مماثلة مع يعقوب ويوحنا ابني الرعد اللذين كانا أيضاً شديدي الحماسة والغيرة: «وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم. وأرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدّوا له. فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم. فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا: يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضًا، فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما، لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص فمضوا إلى قرية أخرى» (لو ٩: ٥١-٥٦). في هذا المقطع نرى أنه عندما حان الوقت ليرتفع الرب يسوع على الصليب، ثبّت وجهه لينطلق الى أورشليم أي اكتسب عزيمة قويّة ليتمّم ما جاء من أجله رغم كل الصعوبات. وبما أن السامرة كانت على طريقه الى أورشليم أراد الرب أن يستغل الفرصة ليحمل إلى السامريين بشارة الخلاص، ولكن بسبب عداء السامريين التاريخي لليهود رفضوا استقباله. نتيجة هذا الرفض اقترح يعقوب ويوحنا بدافع من حماستهما وغيرتهما للرب إنزال نار من السماء لتحرق المدينة، فما كان جواب المسيح سوى تذكير لهما بالروح الذي يجب أن يحرّكهما وهو روح الوداعة والسلام والمحبة، لأنّ رغبة ابن الإنسان خلاص الناس وليس هلاكهم.

يقول بولس الرسول لكلّ منا: «لا تجازوا أحداً عن شر بشر، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس» لا يكونوا غيَر مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّم على الذين يُحبُّونَنا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤-١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَد سِراجٌ ويوضَعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليَروا أعمالكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات* لا تَظنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقول لكم إنّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحُلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناس هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

«ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٣) ان الآية وجيزة ولكنها تحمل تعزية كبيرة. فماذا يعني بقوله ولا ينزع أحد فرحكم منكم؟ أعندك مال؟ فإن كثيرين قادرون أن ينزعوا هذا الفرح منك. اللص ينقب الجدار والعبد يأخذ ما سلم إليه والملك يأخذ ميراثك إلى خزينته والحسود يطعن بك ويذمك. ألك سلطة؟ كثيرون قادرون أن ينزعوا هذه المسرة منك فإذا انتهت مدة الرئاسة انتهت معها الأفراح، مع انه في وقت الرئاسة توجد أعمال شاقة مقرونة بالهموم تسلبك كثيراً من المسرة. أتتمتع بجسم قوي؟ يأتيك مرض وينزع هذه المسرة منك، أأنت جميل وحسن المنظر ستأتي الشيخوخة وتأخذ هذه المسرة منك. أَفَرِحٌ برونق مائدتك؟ يأتي المساء وتنتهي الوليمة ومعها السرور أيضاً. وهكذا تزول كل الأشياء الأرضية بسهولة ولا تقدر أن تكون ثابتة أما التقوى والحماسة الروحية فلها (رو ١٢: ١٧)، وأيضاً: «لا يغلبنّك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ٢١). قد يبدو هذا الكلام صعباً لكن المؤمن يقول في قلبه: «أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني» (في ٤: ١٣)، لأنه يعرف أن الله هو الذي يعمل فيه (في ٢: ١٣) ولأنه يؤمن مثل إيليا النبي أن الله إله حيٌّ وهو قادر على كلّ شيء.

النيات

كثيراً ما نسمع الناس يقولون في تعاطيهم مع بعضهم: «المهم النية» وذلك لتبرير بعض ما يقومون به. وفي أحيان كثيرة نرتكب بعض الممارسات ضد الآخرين فنزعجهم، ونبّرر عملنا بأن «نيتنا» كانت صادقة ولكن التعبير والفعل كانا خاطئين. ونعتذر وكأن شيئاً لم يكن. في المقابل نسمع القديس يوحنا الذهبي الفم يقول للمؤمنين في عظة الفصح ان الله «يُسرّ بالنيّة» ويدعو كل «مَن كان حَسَنَ العبادة ومحباً للمسيح فليتمتّع بهذا الموسم الجميل البهيج». ما هو رأي الإنجيل في هذا الموضوع؟

في معرض تعليم الرب يسوع عن ملكوت السموات وكيف ستكون المحاسبة والمكافأة عند مجيء الملكوت، يورد الإنجيلي متى مثلاً (مت ٢٠: ١–١٦) قاله الرب قبل صعوده إلى أورشليم كي يُصلب ويموت ثم يقوم في اليوم الثالث. يتحدث هذا المَثَل عن رجل صاحب كرم «خرج مع الصبح ليستأجر فعلةً لكرمه». اتفق مع بعض على دينار كأجر لهم. ثم احتاج فعلة آخرين فخرج عند التاسعة صباحاً وأخذ بعضاً آخر. وهكذا فعل أيضاً عند الظهر وعند الثالثة بعد الظهر. وقبل مغيب الشمس، عند الساعة الخامسة، خرج إلى ساحة البلدة فوجد عمالًا لم يستأجرهم أحد. فتحنن عليهم وأرسلهم ليعملوا في حقله رغم انه لم يبقَ سوى ساعة واحدة لغروب الشمس. في المنطق البشري المتعارف عليه، ما قام به هذا الرجل غير منطقي ولا يقوم به أي إنسان عاقل. إذاً، ما هو قصد الرب من المَثَل؟

إطار هذا المَثَل مأخوذ من المجتمعات الزراعية في تلك الأيام، أي زمن الرب يسوع. وهذا الإطار ما زال موجوداً في مجتمعات البلدان النامية حيث يجتمع العمال في الساحات الكبيرة للمدينة بانتظار مَن يأخذهم للعمل في ورشة. في القديم، كانت المجتمعات تعتمد على الزراعة وبعض الحرف في معيشتها. فمَن كان يملك أرضاً زراعية يزرعها حسب مواسم الصيف والشتاء، كان يؤمِّن طعام عائلته، وصاحب الحرفة (نجار مثلاً) يعتاش من عمله في مشغله. ولكن هناك مَن كان لا يملك أرضاً ولا مشغلاً خاصّين به، لذا كان عليه أن يعمل أجيراً لدى صاحب الأرض الزراعية أو المشغل. هؤلاء كانوا يعتاشون مما يتقاضونه من رب العمل. كانوا يتجمعون في ساحات القرى والمدن لتأمين عمل يومهم. فإذا عملوا اطمأنوا إلى أن أولادهم سوف يأكلون الخبز في المساء، وإذا لم يعملوا فهناك خطر كبير أن لا يتأمن الطعام للعائلة. من هنا لم يتفق صاحب الكرم مع الفعلة الذين استأجرهم في وقت متأخر على أجرتهم، على عكس الذين استأجرهم صباحاً إذ اتفق معهم على دينار أجرة لهم. فعمال الساعة التاسعة والظهيرة والعشية لم يجرؤوا على مناقشة الأجرة لأنهم قالوا في أنفسهم: مهما أعطانا جيد. هؤلاء يعتمدون على رحمة رب العمل وكَرَمه. عظمة هؤلاء العمال هي في بقائهم طيلة النهار ينتظرون مَن يرحمهم، رغم ان

المنطق البشري يدفعهم إلى العودة إلى منازلهم لأنه لن يوجد مَن يستأجرهم في وقت متأخر. عظمتهم انهم كان لديهم العزم والنية الصادقة والأمل برحمة الرب. لم ييأسوا من رحمة الرب، بل بقوا في أماكنهم طيلة النهار، لعل هناك مَن يأتي ليأخذهم إلى العمل. لذا كانت رحمة الرب عظيمة عليهم ونالوا ديناراً كما لو عملوا منذ الصباح الباكر. ان رحمة الرب وافرة جداً لكل صاحب نية صادقة وعزم ثابت. هؤلاء العمال لم يجلسوا متكاسلين في بيوتهم منتظرين أن يأتي العمل إلى منزلهم. لكنهم مضوا إلى الساحة وجلسوا طيلة النهار ولم يفقدوا الأمل. كانت لديهم الرغبة الصادقة بالعمل ولم يفقدوا الرجاء ولم ييأسوا، لذا رحمهم رب العمل. هكذا سيرحمنا الرب في اليوم الأخير إذا كانت لدينا الرغبة والسعي الصادقان لعمل مشيئة الله وحفظ وصاياه. مِن هنا قول القديس يوحنا الذهبي الفم في عظة قداس الفصح، والقداس الإلهي صورة لمائدة الملكوت: «ان السيد كريم جدّا، فهو يقبل الأخير مثل الأول، ويريح العامل من الساعة الحادية عشرة مثل العامل من الساعة الأولى. يرحم الأخير ويُرضي الأول. يعطي ذاك ويهب هذا. يقبل الأعمال ويُسر بالنية. يكرّم الفعل ويمدح العزم. فادخلوا إذاً جميعكم إلى فرح ربّكم. أيها الأوّلون والأخيرون خذوا أجرتكم».

النية الصادقة تكون صادقة فعلًا متى كانت مقرونة بفعل صادق، «لأن من الثمر تُعرف الشجرة... كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرارٌ. فإنه من فضلة القلب يتكلّم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات... لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان» (متى ١٢: ٣٣-٣٧). متى وعى الإنسان وصايا الرب لا يعود يحق له أن يخطئ تجاه قريبه ويقول ان النيّة كانت شريفة. الإنسان الصادق النية لا يبرّر ولا يخترع الحجج لتبرير خطأه. يعترف بخطأه والرب يرحمه. هنا يصبح الكلام عن شفافية الإنسان أمراً مهماً. الإنسان الشفاف تأتي أعماله مطابقة لنياته، أو على الأقل يسعى سعياً صادقاً لأن تكون كذلك، والرب يبارك ما يفكر به ويعمله ويقوله.

نقطة أخيرة يجب الإضاءة عليها، وهي موقف عمال الساعة الأولى، الصباح الباكر، الذين اعترضوا على رحمة رب العمل الذي أعطى للجميع ديناراً، للذي عمل من الصباح والذي عمل من بعد الظهر. مشكلة عمال الصباح انهم لم يعوا انهم ضمنوا الطعام لأولادهم منذ الصباح الباكر واطمأن بالهم، بينما الآخرون ظل بالهم مشغولًا كل النهار إذا كان أولادهم سيأكلون أم لا. على الصعيد الروحي، نحن الذين نعتبر أنفسنا اخوة للمسيح، لمّا اعتمدنا زُرعت فينا بذور الخلاص، لذلك يجب أن لا نحتكر رحمة ربنا الذي يشاء «ان جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تيم ٢: ٤)، وأن لا ننزعج إن رحم الرب الذين كانوا خطأة وتابوا وعادوا إلى رحاب الكنيسة والرعية. فهؤلاء كانوا ضائعين ويفتشون عن خلاصهم إلى أن اهتدوا إلى المسيح.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

تأثير آخر، فإن أحسنت إلى غيرك لا يقدر أحد أن ينزع منك عمل الخير ولو أحاطت بك الجنود والملوك وألوف النمامين وخبيثي النية فإنهم لا يستطيعون أن ينزعوا ما امتلكتَ في السموات لأن هذه المسرة خالدة كما قيل: «فرّق أعطى المساكين بُرُّه قائم إلى الأبد» (مز ١١٢: ٩) وبحق قيل: «اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يُفسد سوسٌ ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون» (متى ٦: ٢٠). فإن كنت تواظب على الصلاة بحرارة لا أحد يقدر أن يسرق ثمرها منك لأن هذه الثمار قد مدت جذورها في السماء ولا خطر عليها من الضرر البتة لمناعتها. فإذا تحمّلتَ الشر وفعلتَ الخير وصبرتَ على النميمة وقبلتَ الشتيمة فهذه الأعمال الصالحة تبقى خالدة ولا أحد ينزع مسراتها منك بل كلما تذكرتها تفرح وتبتهج وتذوق لذة عظيمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم